الخطاب الفائز بالمركز الأول لعام 2016

(إرث الجاهلية) عن موضوع التعصب.

التقطت أول أنفاسها على هذه الأرض الطاهرة، كبرت وهي تسابق أخاها على رمال شواطئها الحارة، أنجبتها أم بحرينية، ولكن هناك من لم يقبل توظيفها رغم تفوقها وذكائها لأنها «مُجنَّسة».. من وجهة نظره هو.. فهي لم تعرف وطنًا آخر سواه! وفي جهة أخرى، يغرد الأستاذ الدكتور بأهمية التكاتف لبناء مجتمع حضاري متقدم يواكب تطور الدول العظمى، مجتمع يكفل حرية الأديان والتعبير، مجتمع قوي غير هش، قائم على طاقات أبنائه التي تسعى أن ترفع علم بلدها عاليًا، إلا أنه يحارب زميله الذي نشأ معه، بل ويجاوره في المنزل ويسعى إلى إسقاطه، فقط لاختلاف طائفته الدينية، عجبًا!

نماذج كثيرة ومختلفة، ولكنها تصب في مجرى نهر واحد، غير صافٍ، ذي رائحة نتنة، تقتل بذور الحب والتعايش والإبداع، وتسمح بنمو البغض والحقد والكراهية.

إن موضوعًا كهذا ليس جديدًا علينا، موضوع تحدثت عنه البشرية منذ عقود، ومازالت تكتب عنه وتناقشه في المجالس والندوات والمؤتمرات، وهذا يدل على عدم استطاعتنا حتى الآن التخلص من هذا الوباء! نعم إنه وباء، ينتشر بين الناس كالمرض المعدي المؤدي إلى الموت، فما أصعب نشر المحبة، وما أسهل نشر الكراهية، تمامًا كالبناء والهدم.

نشأنا بالفطرة على حب هذا الوطن، فسعينا إلى النجاح والتميز ليفخر بنا وطننا الصغير في حجمه، العظيم في مكانته، علّمنا ديننا العظيم أننا جميعنا متساوون، لا فرق بين أعجمي ولا عربي إلا بالتقوى، علمتنا مدارسنا معنى الولاء والانتماء والمواطنة. أتساءل: إذن ما الذي يجعلنا نقف عاجزين عن التخلص من هذا الوباء الذي يدمرنا ويدمر وحدتنا؟! الوباء الذي يتفشى في نفوسنا فيسيطر علينا، الوباء الذي نتوارثه جيلًا بعد جيل؟! أَلهذه الدرجة ضعفاء نحن لنواجه هذا المرض ونقضي عليه؟!

لطالما لفتني تطور الغرب وتقدمهم بشكل ملحوظ عن البلدان العربية، رغم أن أمريكا على وجه الخصوص تضم سكانًا من مختلف الأصول والأعراق، أيعقل أنهم لا يعانون من أي شكل من أشكال التعصب؟ بالطبع لا، فلا يمكن أن يخلو مجتمع في هذا العالم من مثل هذه المشاكل والأمراض، ولكنني أعتقد أن لديهم عزيمة وقدرة على التعايش والتسامح، تجعلهم يسعون جاهدين إلى الوصول إلى النجاح والرُقي والتطور. والأهم من ذلك ان لديهم من القوانين والعقوبات الرادعة، ما يجعلهم يخشون إتيان أي من التصرفات العنصرية المهينة، لأنفسهم أولًا!! وللآخرين ثانيًا.

لماذا نحتسي الشاي بعد صلاة الجمعة، نشاهد أخبار العالم الغربي وإنجازاتهم التي تنال إعجابنا في مختلف المجالات، لكننا لا نفخر بالعداءة البحرينية «روث جيبيت» التي توجت بالميدالية الذهبية في دورة الألعاب الأولومبية المقامة في ريو دي جانيرو، وقد رفع علم البحرين عاليًا وعزف النشيد الوطني لمملكتنا الحبيبة أمام جميع الناس من البلدان المختلفة؟ هل فقط لأنها غير بحرينية الأصل؟ لماذا نتجاهل تمامًا حجم الإنجاز الذي حققته روث للبحرين التي لم يسبق لها الفوز بالميدالية الذهبية في مشاركتها بدورات الألعاب الأولومبية؟! هل الانتماء إلى الوطن يكون حين تولد في دولة ما ويكون أبواك منتمين إليها أم أنه أفعال وإنجازات تقدمها للوطن الذي احتضنك وقدم لك الكثير؟ لماذا نقلل من جهود وتضحيات مواطن ربما يفوق حبُّه للبحرين حبَّ المواطن الأصلي؟ لماذا ننتقد وبشراسة إخوتنا من الطائفة الأخرى ونستنكر ممارستهم لطقوسهم الدينية ونشعر بأنها ليست حقًّا من حقوقهم؟ بل والأغرب من هذا كله أنه مازالت هناك فئات في المجتمع تحتقر من هم على نفس مذهبهم وتوجههم السياسي والفكري، ولكنهم ليسوا ب (قبليين) إن صح التعبير، فلا يزوجونهم بناتهم ولا يتزوجون منهم!

إلى كل بحريني يعشق تراب هذا الوطن،

أعلم تمامًا أنه قد يستاء البعض من هذا الكلام فيرد قائلًا إن التعصب أمر لا يقتصر علينا وحدنا، بل إنه موجود في كل المجتمعات عربية كانت أم غربية، نعم.. أوافقك الرأي، ولكن ما المانع إن كنا أقل بلدان العالم تعصبًا وأكثرها تسامحًا كالهند مثلًا، التي تضم المئات من الأديان والطوائف؟ ان حبنا لهذا الوطن ولشعبه التعددي، سوف يجعلنا في المقدمة، سوف يجعلنا في الصفوف الأولى، التي خُلقت من أجلنا وخُلقنا من أجلها. إن غيرتي على وطني الحبيب جعلتني أحاول ولو بأبسط الوسائل أن تلامس كلماتي قلوبكم، وتشعل الغيرة الحميدة في نفوسكم، لنتخذ جميعًا خطوة إيجابية نحو الأمام فنوقف هذه الفتنه التي ترجعنا إلى الوراء، وتجعلنا عالقين في زمن الجاهلية والتخلف، وتعطل عجلة التنمية والنجاح التي تتنافس عليها الأمم اليوم فتعمل جاهدة وبلا توقف، تاركة خلفها التعصب والكراهية.

أبناء وطني الشرفاء،

إنسانة بسيطة أنا مثلكم، ولدت ونشأت في هذا البلد الذي أطمح أن أرفع علمه في أعلى الميادين، أصيب أحيانا، وأخطئ أحيانًا كثيرة، لا أملك ما يجعلني أتفوق عليكم، وأتحدث من وراء المنابر أطالبكم بترك التعصب والعنصرية والكراهية، ولكنني جئت لأذكركم بحُب، عما نسهو ونغفل عنه أحيانًا كثيرة. لا أدّعي المثالية، ولا أدعوكم بما لا أعمله، متيقنة تمامًا من طيب قلوبكم وكرمكم، الذي لطالما أشادت به الشعوب المجاورة، جئت أدعوكم إلى أن نطهر نفوسنا من التعصب

والعنصرية، جئت أدعوكم لنحيا في هذا الوطن كإخوة، لا ننظر في تعاملنا إلى أي قبيلة يرجع هذا الشخص، أو إلى أي طائفة ينتمي، أو أيّ فكر سياسي يعتنق، فأن تكون بحريني الأصل، منتميًا إلى طائفة معينة، صاحب فكر سياسي معين، ليس له أي علاقة بمدى حبك وتعلقك وخوفك على وطنك، فكم من بحريني الأصل لم يساهم في أي إنجاز ليقدمه لوطنه الذي أعطاه الكثير، وكم من بحريني المولد والمنشأ فقط، حبه الصادق لوطنه دفعه ليمثل وطنه في شتى المحافل الدولية أسمى تمثيل، والبعض منهم دافع عن البحرين بدمه وروحه، ووضع البحرين وأمنها نصب عينه، قبل أمه وزوجته وأطفاله، فبات شهيد الوطن.

إن التعدد ليس بالأمر الغريب، خُلق معنا وخُلقنا معه، إنما الغريب عدم تعايشنا معه حتى هذه الحقبة من الزمن. لنعطي أنفسنا فرصة، فرصة لنغير مفاهيم حب الوطن لدينا، فنجسد هذا الحب بأفعال صادقة، ونتسلح بالعلم والمعرفة، فننافس شعوب العالم ونسابقهم في الخير، لنشغل أنفسنا بالتخطيط والتفكير في مستقبل مملكتنا الحبيبة، بعيدًا عن الإنشغال بتوافه الأمور، ليكن همنا الشاغل مكانة هذا البلد ورُقيه، فنهيئ بذلك بيئة مليئة بالتسامح والتعايش والتقبُل، يكبر فيها أطفالنا ليكونوا جيلًا واعدًا يكمل جمال ما بدأناه. قال تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ**﴾، صدق اللّٰه العظيم.